مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد.6/ العـــدد1 (2022)، ص ص 97-107

اكتشاف معصرة الكروم بمنطقة أولاد جلول ، ولاية تيسمسيلت.

Discovery of the grape press in Ouled Jalloul, Tissemsilt region.

خاتمي مصطفى *	لورثان بختي
جامعة أحمد بن بلة وهران 1 (الجزائر) مختبر تاريخ الجزائر	جامعة ابن خلدون، تيارت (الجزائر)
khatmimustapha1@gmail.com.	lourtan@gmail.com

تاريخ الاستلام: .16./.08../2021 تاريخ القبول: .27./.12./2021

ملخص:

في 27 – 12 – 2020 ، تمَّ اكتشاف موقع جديد أثري بمنطقة أولاد جلول بلدية المعاصم (جنوب جبال الونشريس) بولاية تيسمسيلت، غير موثق في المعالم الأطلس الأثري ، تمثل معصرة الكروم الرومانية منحوتة في صخر جيري وعلى منحدر جبلي، إضافة إلى وجود كسور الأواني فخارية بالقرب من المعصرة.

سيساهم هذا الاكتشاف لا محالة في إغناء الفهرس الوطني للمواقع الأثرية.

كلمات مفتاحية: معصرة الكروم ؛ أولاد جلول ؛ الفخار؛ كروم موريطانيا ؛ جرن العصير.

***Abstract*:**

On 12-27-2020, a new archaeological site was discovered in the area of ouled Djalloul municipality of Al-Maacem (south of the ouarsenis Mountains) in the state of Tissemsilt, not documented in the archaeological atlas, representing a Roman grape press carved in limestone and on a mountain road, in addition to the presence .of fractures of pottery vessels near From the winepress.

This discovery will inevitably contribute to the enrichment of the National Index of Archaeological Sites.This discovery will inevitably contribute to the enrichment of the National Index of Archaeological Sites.

Keywords: Grape Press; Oulad Djalloul area ; Pottery ; Mauritania grapes ; Juice hole

*المؤلف المرسل : حاتمي مصطفى

. مقدمة:

على ضوء الاكتشافات الأثرية والدراسات التاريخية يبدوا لنا أنَّ الزراعة الكروم لها مكانة و أقدمية في الجزائر وهي نفس المكانة التي أخذتها زراعة القمح و الزيتون وهذا ما دّلت عليه بعض المطاحن و المراحي، إلا أنَّ البقايا الأثرية خاصة بالمعصرة العنب قليلة جدا في الخريطة الأثرية لمنطقة تيسمسيلت.

وعندما تفحصنا المنطقة الأثرية بدوار أولاد جلول بلدية المعاصم ولاية تيسمسيلت تبيّن لنا أنها معصرة عنب أثرية برغم من عمليات إذابة المناخية لا يزال هذا الملحق الأثري محافظ على كل أقسامه.

لقد تردّدنا في بداية الأمر عند دراسة هذا الموضوع إن كان له كشف أثري مسبق من طرف الباحثين، لكن بعد عملية تحري تبين لنا أن معصرة العنّاب هذه لم تحضى بدراسات أو معاينات فعملنا في هذه الورقة البحثية على طرح الإشكالات التالية:

ما هو العمر المقترح لهذه المعصرة ؟ ، وماهي أهم ملحقاتها ؟ ، وفيما يكمن واقعها التاريخي في المنطقة التي اكتشفت فيها؟

1. الموقع:

تقع معصرة العنب الأثرية في الطرف الجنوبي الشرقي من بلدية المعاصم على بعد 03 كلم على منحدر جبلي باتجاه دوار أولاد جلول ودوار امحمد بن عابد **(ينظر إلى الصورة رقم 01).**

2. طبيعة المعصرة العنب الأثرية (الصورة رقم 02):

المعصرة التي نتحدث عنها هي منحوتة في صخر جيري ليّن ، وهذا الصخر الجيري هو الكساء العلوي لصخور أكثر ليونة والتي تعود إلى الفترات الجيولوجية قديمة جدا، موقع الأرض الموجود به المعصرة هو منحدر جبلي يسمى بالكاف الشافعية عند الأهالي منطقة المعاصم.

وجود المعصرة في هذا الموضعَ يدلّ على أَنَّ الأَرض هناك كانت مشجَّرةً فيما مضى، وعلى الأَقلّ خلالَ الفترةِ التي كانت المعصرة فَعّالةً خلالَها، بالعِنب، هذا مع العلم أَنّ الأَرض هناكَ حاليّا ليست مشجّرة بل مفتلحة بالزراعة الحبوب، ومنها مُغطَّاة بنباتات بريَّة، ونحن لا ندري متى توقَّفت زراعةُ العنب هناك، ولا متى هجرَت المعصرة.

3. تأريخ المعصرة العنب الأثرية:

تدلّ كسور الأَواني الخزفيَّة التي عثرنا عليها بِالقُربِ من المعصرة حوالي 20 مترا في خربة أم نحاس أَنَّها تعود إِلى الفترتينِ الرُّومانيَّةِ (40 – 429 بعدَ الميلادِ)، والبيزنطيَّةِ (534 – 642 الميلاد)، وأَنَّها كانتْ فعَّالةً خلالَ تلكَ الفترةِ وما سبق الفتوحات الإِسلامية، ومعنى ذلك أَنَّها نُحِتَتْ في الصَّخرِ خلالَ الفترةِ المورِيةِ وقيام الكيانات السياسية منها مملكة مستنغاس وماسونا في القرن الخامس الميلاديين، كون بالقرب منها عثر على معالم جنائزية تعود إلى الملوك المور.

4. أَقسامُ المَعْصَرَة (أنظر الصورة رقم 03):

1.4. حوضِ الدَّوْس :

وهو مسطبةٌ منحوتةٌ في الصَّخرِ تميلُ قليلاً نحو الشرق، باتِّجاه جُرنِ جمعِ العصير. على هذا الحوضِ كانتْ تُوضَعُ عناقيدُ العِنَبِ، وعليها كانَ يُداسُ بالأَرْجُلِ مِن أَجلِ عصرِها. أَبعادُ الحَوْضَ هي كما يلِي:

أ- طولُ الضِّلعِ الجنوبي: 3.10 متر تقريبًا

ب – طولُ الضِّلعِ الشَّرقي: 2.90 متر تقريبًا

ج – طولُ الضِّلعِ الشِّمالي: 2.70 متر تقريبًا

د – طولُ الضِّلعِ الغربي: 3.0 متر تقريبًا

هـ – العُمْقُ الحالي: 10 – 15 سم تقريبًا

و – زاوية الميلان للحوض : 87 سم

العُمقُ الأَصلي: غيرُ معروف، بِسببِ تآكُلِ صخرِ المَعْصَرَةِ، خصوصًا بفعلِ الإِذابةِ بمياهِ المطرِ على مَرِّ القُرُونِ.

2.4. جُرْنُ جمعِ العصيرِ :

وهو جُرنٌ منحوتٌ في الصَّخرِ إليهِ كان يجري العصيرُ مِن حوضِ الدَّوْسِ الذي يميلُ بِعَدَدٍ قليلٍ مِنَ الدَّرجاتِ نحوَ ذلكَ الجُرْنِ، مِن أَجل تسهيلِ جَرَيَانِ العصيرِ إليهِ، ونحنُ نعتقدُ أَنَّ مَسْحُوقًا مِن صخرِ الحِوَّارِ كانَ يُضافُ إلى العصيرِ المُتجمّعِ في هذا الجُرْنِ مِن أَجلِ تصفيتِهِ وترويقِهِ، قبلَ أَنْ يُنْقَلَ إلى الجُرْنِ المُجاور.

شكلُ جُرْنِ جمعِ العصيرِ مربع تقريبًا، وأَبعادُهُ هي كما يلِي:

أ- الطُّول: 134 سم تقريبًا

ب – العَرض: 130 سم تقريبًا

3.4. جُرنٌ صغيرٌ لِلْجِرَارِ:

هذا الجُرْنُ هو حُفرةٌ صغيرةٌ دائِريَّةٌ تقريبًا منحوتةٌ في الصَّخرِ بِالقُربِ مِن جُرنِ جمعِ العصيرِ، وإِلى يَسَارِهِ، قطرُها حوالي 20 سنتمترًا وعُمقُها حوالي 15 سنتمترًا، بِها كانتْ تُوضعُ وتُثَبَّتُ الجِرَارُ التي كانتْ تُمْلأُ بِالعصيرِ.

5. الواقع التاريخي للمعصرة :

تذكر لنا المصادر الإغريقية والرومانية على وجود الكروم بشمال إفريقيا ،منها البريّة قبل قدوم الرومان [1]، حيث يذكر لنا المؤرخ بليني الأكبر (Pline L'Ancien) أنه لاحظ أثار الأقدمين تعود لزراعة الكروم في المناطق الواقعة حول جبل الأطلسي[2].

ويرى اصطيفان اغزال (Gsell St) أن المغاربة القدماء اهتموا بالإنتاج الوفير للعنب بالخصوص في الفترة مملكة نوميديا .[3]

---

[1] – غابريال كامبس ، (2014)، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة حزال عبد الرحيم، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، ص 23.

[2] – بليني الأكبر، (2019)، الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي، ترجمة الذويب محمد مبروك، بنغازي، منشورات، جامعة قاريونس، الفقرة 13، ص 28.

[3] - ***Gsell (St.), (1913), Histoire ancienne de L'Afrique du Nord,T8, Bibliothéque nationale de France , p 182.***

ومع الفترة الرومانية عانت زراعة الكروم في المقاطعات الإفريقية من منافسة شديدة من قبل زراعة الحبوب وهذا راجع لمكانة القمح الرئيسية للتموين الغذائي للإمبراطورية الرومانية[4].

وعلى هذا الأساس، كانت زراعة الكرم تخضع للقوانين والمراسيم الرومانية حيث كانت تقلل من نشاطها تارة وتشجعها تارة كمرسوم الامبراطور دوميتيانوس سنة 92 م الذي شجع غرس الكروم جديدة بإيطاليا ونص على تدمير نصف الحقول في المقاطعات الإفريقية وهذا راجع لمنافسة وجودة الكروم الإفريقية التي كانت تهدد من مكانة الكروم الإيطالية. [5]

وحسب شنيتي (م.ب) أنَّ مثل هذا الإجراء جعل الإمبراطور هادريانوس فيما بعد يفض استثمار في الإمكانيات الاقتصادية في المقاطعات الإفريقية.

وبالفعل هذا ماعشته زراعة الكروم من ازدهار مع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث وصولا إلى الفترة الوندالية فيورد بركوب القيصري (Procopius) أنّ إنتاج إفريقيا من الأشجار الكروم كان كافيّا جدا.

6. استعمالات العصيرِ :

العصيرُ كانَ يُستخدمُ في صُنعِ الخمرِ بأَنواعِهِ المُختلفةِ، ويُميّزُ الكاتِبُ الرُّومانِيُّ كأَئِيلْيُوْس أَبيْكْيُوْس (Caelius Apicius)في كتابِهِ حَوْلَ فَنِّ الطَّهْيِ (De Re Coquinaria) ، مِن آخرِ القرنِ الرَّابعِ المِيلاديّ، بينَ الأَنواعِ التَّاليةِ مِنَ الخمرِ، في ذلكَ الزَّمانِ.

أ- خمرُ الزَّبِيْبِ (Passum)

ب- خمرٌ عادِيٌّ (Vinum)

ت- خمرٌ غيرُ مَمْزُوجٍ (Merum)

ث- خمرٌ مُكَثَّفٌ (مَغْلِيٌّ إِلى درجةِ الُّلزُوجَةِ) (Vino Cotto)

---

[4] - *Martin (J.P.) , (1973) , La Rome ancienne (735 av-jc- 395 ap.jc) , Paris, ed PUF, p 254.*

[5] - *Reinach.(S), (1977) , la mévente du vin sous le H.E romain » in Africa. Institut du patrimoine ,p 09.*

ج- خمرٌ عَذْبٌ ينتجُ عندَ تخفيضِ حجمِ العصيرِ إلى ثُلُثَيْ حجمِهِ الأَصلي وقتَ الغَلْي (Carenum)

ح- خمرٌ عَذْبٌ ينتجُ عندَ تخفيضِ حجمِ العصيرِ إلى نِصْفِ حجمِهِ الأَصلي وقتَ الغَلْي (Defretum)

خ- خمرٌ عَذْبٌ (Sapa) ينتجُ عندَ تخفيضِ حجمِ العصيرِ إلى ثُلْثِ حجمِهِ الأَصلي وقتَ الغَلْي

وبعدَ أَنْ دخلَ الإسلامُ إلى هذِهِ البلاد انخفضتْ أَهميَّةُ مَعَاصِرِ العِنَبِ في إنتاجِ العصيرِ مِن أَجلِ صُنعِ الخمر، وأَصبحَ العصيرُ يُستخدمُ، خُصوصًا في المناطقِ التي أَصبحتْ تدينُ بالإسلامِ، في صُنعِ دِبسِ العِنَبِ، ولم ترجعْ لعصيرِ العِنَبِ أَهميَّتُهُ في صُنعِ الخمرِ .

وكُنَّا نسمعُ مِنِ الأهالي المنطقة التي اكتشفت فيها معصرة العنب الأثرية أَنَّ كُرُومَ العِنِبِ كانتْ فيما مضى واسعةَ الانتشارِ في البلاد.

7. أنواع الكروم الموجودة في الجزائر القديمة :

لقد ذكر المؤرخين مايقارب ستون نوعا من الكروم وجدت بالجزائر منذ القدم منها:

أ- كروم ألبوليس : (Vitis Albelius) هو نوع من فصيلة كانت تغرس في الأراضي التليّة.

ب- كروم موريطانيا : أو تعرف بالكروم مساري (Vitis Massari) موجود بوفرة وكان يستعمل لأغراض طبية.

ت- كروم نوميديا : كان موفور الإنتاج وجودة وكان موجه لصناعة الخمرية (Vitis Numidiana).

8. تقنيات زراعة الكروم :

1.8.إيجاد أرض خصبة :

بوجود معصرة المعاصم في منطقة منحدر بجانبها حقول موجهة لزراعة القمح وهي مناسبة لزراعة الكروم كما نعلم ، ذكر لنا المؤرخ بليني الأكبر أن القدامى عند أول خطوة لزراعة لا بد أن يختاروا أرضا مناسبة للزراعة الكروم ومن المستحب أن تكون بجانب الهضبة أو التل ، وهذا موافق لطبيعة معصرتنا كما نرى.

2.8. عملية الغرس :

بعد اختيار الأرض مباشرة يقوم الكرّام بتهيئة التربة عن طريق حرثها حرث بسيط يتركب من جذع شجرة، مقبض أو كما يسمى العريش، ولا يزال مستعملا في بعض الأرياف النائية عندنا في منطقة تيسمسيلت والغرب الجزائري.

ويرى بيلار أنّ النصوص اللاتنية ذكرت لنا ثلاثة عمليات حرث الأرض المزروعة بالكروم خلال السنة ، الأولى حرث الشمال عند نهاية فصل الشتاء، الثانية تزهر الكرمة مع شهر أفريل و تنضج وتقطف ابتداء من شهر جويلية.

3.8. جزرمة الكروم :

يذكر بليني الأكبر ستة تقنيات لجزرمة الكرومة منها ثلاثة التي ذكرها حول الكروم الإفريقية :

الكروم الزاحفة ، والكروم البسيطة ، والكروم الأشجار.

4.8. كشف الجذور

يذكر لنا أحد فلاحينا في المنطقة أنه مع حلول فصل الشتاء أي بعد تساقط كل أوراق الداية نعمل على كشف جذورها لتنظيف والقضاء على الأعشاب الضارة.

5.8. العزق الكروم

ويذكر الفلاح أن مابين فيفري ومارس يعاد دفن جذور الكرمة مع ترويتها.

6.8. عملية تناسل :

وذلك بغية ضمان جودة عالية للغلة كانت تتم بثلاثة طرق : الإفتسال ، التطعيم ، الترقيد.

8.8 تقليم :

أي ترك عسلوجان فقط ونزع الباقي

8.8 عبل الكرمة :

كان يراد منها نزع جل الأوراق الدالية لتنقية الكرمة وضمان تلون ونضج العنب على أحسن مايكون.

عملية جني العنب : بعد نضج العنب في موسم القطاف شهر أوت وسبتمبر ، يستعمل القاطف مشذب صغير للحفاظ على سلامة العنب ويصعد كما نراه في فسيفساء شرشال ويضع عناقيد العنب في سلال.

9.8. دعس العنب :

بعد قطفه ينقل العنب إلى قبوات منها موجهة للاستهلاك المباشر ومنها للمعاصر المهيأة على الأرض حيث تغرس الكروم ، وكانت عملية الدعس تحتاج حوالي سبعة من أشخاص ويلقى العنب داخل الحوض كما نراه في فسيفساء شرشال ، ويظهر الداعسين بوضع حفاة وبأرجل مغسولة وبعد الدعس يجري العصيرُ مِن حوضِ الدَّوْسِ الذي يميلُ بِعَدَدٍ قليلٍ مِنَ الدَّرجاتِ نحوَ ذلكَ الجُرْنِ، مِن أَجل تسهيلِ جَرَيَانِ العصيرِ إليهِ، ونحنُ نعتقدُ أَنَّ مَسْحُوقًا مِن صخرِ الحِوَّارِ كانَ يُضافُ إلى العصيرِ المُتجمِّعِ في هذا الجُرْنِ مِن أَجلِ تصفيتِهِ وترويقِهِ، قبلَ أَنْ يُنْقَلَ إلى الجُرْنِ المُجاورِ في وعاء من الفخار يغلق بالقطران لضمان جودته ويوضع بدوره داخل جرات كبيرة (Ollaris Uva) وكانت هناك طريقة مشهورة تكمن في دخن العنب بالحديد المصهر وكان الإمبراطور تيتوس يفضل هذا النوع من العنب الذي كان ينتج إفريقيا.

9. خاتمة:

ومن خلال العرض السابق يتضح لنا أنَّ وجود المعصرة في هذا الموضعَ (دوار أولاد جلول) يدلّ على أَنَّ الأَرض هناك كانت مشجَّرةً فيما مضى، وعلى الأَقلّ خلالَ الفترةِ التي كانت المعصرة فَعّالةً خلالَها ، وتبين لنا كسور الأَواني الخزفيَّة التي عثرنا عليها بِالقُربِ من المعصرة أَنَّها تعود إلى الفترتينِ الرُّومانيَّةِ (40 – 429 بعدَ الميلادِ)، والبيزنطيَّةِ (534 – 642 الميلاد)، وأَنَّها كانتْ فعَّالةً خلالَ تلكَ الفترةِ وماسبق الفتوحات الإسلامية، وربما أَنَّها نُحِتَتْ في الصَّخرِ خلالَ الفترةِ الموريةِ وقيام الكيانات السياسية منها مملكة مستنغاس وماسونا في القرن الخامس الميلاديين.

مازالت هذه المعصرة على هيئتها الطبيعية في صراع مع الزمن ومن أجل الحفاظ عليها يتوجب علينا استغلالها، وإهمالها يؤدي إلى تلفها مرة أخرى وعليه يجب اتخاذ جملة من التوصيات و الإجراءات المتمثلة فيما يلي:

1 – العمل على أعطاء تاريخ دقيق للموقع

2 – العمل مع السلطات المحلية على تسجيل الموقع في قائمة الجرد الإضافي و بالتالي التصنيف الموقع في أقرب وقت حسب قانون 89 /04 الخاص بحماية المواقع الأثرية الغير مصنفة .

3– العمل على حماية الموقع من الحفريات العشوائية

4 – إعادة تشكيل الخارطة الأثرية لولاية تيسمسيلت .

5 – برمجت حفريات أثرية في المستقبل

6 – صيانة وترميم الموقع وإعادة تهيئته

7 – تعين حارس في أقرب وقت ممكن .

10. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

أ– **باللغة العربية :**

- بليني الأكبر، (2019) ، الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي، ترجمة الذويب محمد مبروك، بنغازي منشورات جامعة قاريونس.
- شنيتي محمد البشير ، (1984)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- غابريال كامبس ، (2014)، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة حزال عبد الرحيم، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق.

ب– **باللغة الفرنسية :**

- ***Billiard (R.) , (1913), La vigne dans l'antiquité. Lyon,.***
- ***Gsell (St.), (1913) , Histoire ancienne de L'Afrique du Nord,T8, Bibliothéque nationale de France.***
- ***Martin (J.P.) , (1973), La Rome ancienne (735 av-jc- 395 ap.jc), Paris, ed PUF..***
- ***Pline L'Ancien, (1877), Histoir Naturelle, Traduction en francais par M.E Littré, Paris, Nisard,.***

- ***Reinach.(S) , (1977), ,la mévente du vin sous le H.E romain » in Africa. Institut du patrimoine.***

11. ملاحق:

الصورة – 1– يبّين موقع لمعصرة الكروم بدوار أولاد جلول

الصورة –2– المنظر العام لمعصرة الكروم

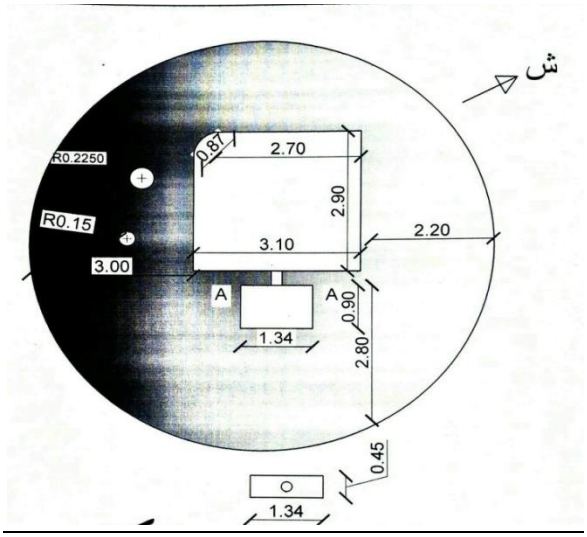

الصورة –3– مخطط يبيّن مقاسات معصرة كروم